

الباب الثانى عشر

فيمن عرّض بالتطفيل ولم يُصرّح

- أبو هريرة يلمح بالتطفيل .
- آتنا غداءنا .
- متى أحصل عندك ؟
- لو ترانى وقد وقفت أروى !
- صنعة التطفيل !!

الباب الثانى عشر

(فيمن عَرَّض بالتطفيل ولم يُصَرِّح^(١))

أبو هريرة يلمح بالتطفيل :

[١] عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أنه قال :

« كنت ألزم النبي ﷺ لشبع بطنى حين لا آكل الخمر ، ولا ألبس الجديد ، ولا يخدمنى فلان ، ولا فلانة ، وألصق بطنى بالحصى ، وأستقرئ الرجل الآية ، وهى معى ، كى ينقلب بى فيطعمنى^(٢) ! » .

[٢] وعن أبى هريرة أيضا — رضى الله عنه — قال :

إن كنت لأسأل زائدة الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن الآيات لأننا أعلم بها منه ، لا أسأله إلا ليُطعمنى شيئا . قال : فكنت إذا سألت جعفر بن أبى طالب ، لم يُجِبْنى حتى يذهب بى إلى منزله ، فيقول لامرأته : يا أسماء ! ، أطعمينا ، فإذا أطعمنى أجابنى .

وكان جعفر ، يُحِبُّ المساكين ، ويجلس إليهم ، ويحدثهم ، ويحدثونه^(٣) .

[٣] وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — أيضا قال^(٤) :

أصابنى جَهد شديد ؛ فلقيت عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فاستقرأته آية من كتاب الله تعالى ، فدخل داره ، وفتحها على ، فمشيت غير بعيد ؛ فخررت لوجهى من الجَهد ، فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسى فقال :

(١) يقال عَرَّض له بالقول : لم يبينه ، ولم يصرح به ، كما تقول : ألمح إليه من بعيد ، وكل لبيب بالإشارة يفهم .

(٢) فنراه هنا يعرّض بالتطفيل حيث كان يلزم النبي ﷺ لشبع بطنه ، ويستقرئ الرجل الآية « يطلب منه أن يقرئها ويُعلمه إياها » مع أنها معه ؛ ليعود به إلى بيته فيطعمه ، والحديث أخرجه الخطيب البغدادي بسنده ، ورواه البخارى فى صحيحه كتاب الأطعمة : باب الخلواء والعسل (٢٩٨/٣) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن المقرئ عن أبى هريرة ، والترمذى فى سننه كتاب المناقب : باب مناقب جعفر بن أبى طالب ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن أبى نُعيم .

«ياأبا هريرة ! ؛ فقلت : لبيك يا رسول الله ، وسَعَدَيْكَ^(١) !! قال : فأخذ بيدي ، فأقامني ، وعرفَ الذي بي ، فانطلق بي إلى رَحْله^(٢) ، وأمر لي بعُسٍّ من لبن ، فشربت منه ثم قال : غُدْ ياأبا هريرة ، فعدت ، فشربت ، ثم قال : غُدْ ياأبا هريرة ، فعدت فشربت حتى استوى بطني ، فصار كالقدح ، ورأيت عمر — رضى الله عنه — فذكرت له الذي كان من أمرى ، قال : قلت له : قولى ذلك : من كان أحق به منك يا عمر !!

والله لقد استقرأتك الآية ، وأنا أقرأ لها منك !
فقال عمر — رضى الله عنه — لأن أكون أدخلتكَ أحبَّ إليَّ من حُمْرِ النَّعَمِ .

آتنا غداءنا :

وقال أبو حاتم : خرج بعضهم يعود مريضاً فى أقاصى الكوفة ، فلقىه أبو حنيفة ، وأبو بكر الهذليّ ، فقالا له : إلى أين تريد ؟ قال : أعود فلاناً ، فقالا : نعوذه^(٤) معك . فنبعاه إلى المريض ، ليعوده ، فقال أبو حنيفة لأبى بكر : إذا قعدنا فعرض له بالغداء ! .

فلما دخلوا ، وتحدثوا ، قال أبو بكر :

﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾^(٥)

ففطن المريض ، فتمطى وقال :

﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ...﴾^(٦) الآية

(١) لبيك : لزوماً لطاعتك ، أو إلباباً بعد إلباب ، أى : إجابة بعد إجابة . أو معناه : اتجأه إليك ، وقصدى وإقبالى على أمرك .

وهو مصدر شئى على معنى التأكيد ، ومثله : سعديك : أى إسعاداً لك بعد إسعاد .

(٢) الرّحل : مسكن ، وما يستصحبه من الأثاث .

(٣) حمر النعم : أكرم النعم . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الأطعمة : باب قوله تعالى :

﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ (٢٩٠/٣) .

(٤) نعوذه : نزوره .

(٥) الكهف / ٦٢ .

(٦) التوبة / ٩١ . وفى الآية ما يدفع الحرج عنه إذا هو لم يقدم لهم غداء .

فقال أبو حنيفة : قوموا بنا ؛ فما عند صاحبكم خير^(١) !!

متى أحصل عندك ؟!

قال محمد العتكي : لقيني أحمد بن سعيد الطائي الكاتب بدمشق ، فقال لي :
اقتصدت ، فكتبت إلى أبي يعقوب الطائي هذين البيتين ، فاستمع بما أجابني :
كتبت إليه :

حَجَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي يا أبا يَعْقُوبَ فَقَدْ ك
أَيُّ أُنْسٍ كَانَ لِي مِنْ ك إِذَا مَا كُنْتُ عِنْدَكَ ؟!
فأجابني :

أَبْدَأُ تَخْضُلُ عِنْدِي فَمَتَى أَخْضُلُ عِنْدَكَ ؟!
إِنْ تَنَاصَفْنَا وَإِلَّا بَيْتٌ يَا طَائِيَّ وَحْدَكَ
لو تراني وقد وقفت أروى !!
وأنشد أبو الحسن الأسدي لنفسه :

كُنْتُ يَا سَيِّدِي عَلَى التَّطْفِيلِ أَمْسَى لَوْلَا مَخَافَةُ التَّثْقِيلِ
وَتَذَكَّرْتُ دَهْشَةَ الْقَارِعِ الْبَا بَ إِذَا مَا أَقَى بَغِيرِ رَسُولِ
وَتَخَوَّفْتُ أَنْ أَكُونَ عَلَى الْقَرُ م ثَقِيلًا فَقَدْتُ كُلَّ ثَقِيلِ
لَوْ تَرَانِي وَقَدْ وَقَفْتُ أَرَوَى فِي دُخُولِي إِلَيْكَ أَوْ فِي حُلُولِ
لَرَأَيْتَ الْعِذْرَاءَ حِينَ تُحْيَا وَهِيَ مِنْ شَهْوَةٍ عَلَى التَّعْجِيلِ
صناعة التطفيل :

وعن هبة الله بن مسرة الشاعر قال :

اجتزت أنا وأبو الفضائل إبراهيم بن أحمد الأنطاكي بباب «رشأ» غلام الخالدي

(١) ومن يتأمل يجد أن هذا ليس تعريضا ، ولكنه تصريح . وما ذكره الخطيب البغدادي أدق ؛ حيث روى الحكاية قائلا : فلما دخلوا عليه ، وتحدثوا تلا أبو بكر الهذلي : «ولبلونكم بشيء من الخوف والجوع ..» [البقرة / ١٥٥] وفي معرض الابتلاء ، بالمرض وغيره يرد التطفيل تلميحاً لا تصرحاً بذكر نوع من الابتلاء وهو الجوع !!

الشاعر ؛ فقال أبو الفضائل : لهذا الرجل قد ورد معه من العراق ، فما ترى في النزول به ، والتعرض لاستماعه ؟! فقلت : على شرط ألاّ أسأله ذلك ، وأنت تتولّى خطابه .

فترلنا عنده ، وأفضنا في الحديث ، وعرض أبو الفضائل باستدعاء الطعام والشراب حرصاً على السماع ، فلم يجبه إلى ذلك !! ، واحتج بمعاذير اللثام ، فانصرفنا عنه .

قال أبو علي فأنشدني في ذلك يخاطب أبا الفضائل :

خَفِيتْ عَلَيْكَ مَنَازِلَ التَّطْفِيلِ	فَنَزَلْتُ مِنْ «رَشَاءٍ» بَشَرًا نَزِيلِ
وَطَرَقَتْ فَطَرَقَ ذُبَابٌ أَطْلَسًا	أَوْحِيَّةَ صَمَاءَ ذَاتِ صَلِيلِ
فَرَقِيتهُ وَقَرَأْتُ كُلَّ صَحِيفَةٍ	حَتَّى قَرَأْتُ صَحِيفَةَ الْإِنْجِيلِ
وَزَعَمْتُ أَنَّ أَبَاهُ مِنْ عَظْمَانِهِمْ	يُؤَمِّي إِلَى «تُوفِيلٍ» أَوْ «مَنْوِيلٍ» .
حَتَّى خَشِيتُكَ أَنْ تُقْبَلَ كَفَّهُ	حُبَّ الرَّجَاءِ ، وَطَاعَةَ التَّامِيلِ
أَسْفَى. عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَقْتُ صَبَابَةً	مِنْ مَاءِ وَجْهِكَ فِي سُؤَالِ بَحِيلِ
فَوَجَدْتُ طَعْمَ سُؤَالِهِ مِنْ لُؤْمِهِ	مُرًّا كَطَعْمِ الْخَنْظَلِ الْمَبْلُولِ
وَلَقِيتُ دُونَ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ	رَدًّا كَطَعْمِ الْخَنْظَلِ الْمَبْلُولِ
أَقْبَلْتُ تُنْشِدُهُ وَأَطْرَقَ مُعْرِضًا	إِطْرَاقَ ذُمْرٍ لَطَالِبٍ بِدُخُولِ
حَتَّى ظَنَنْتُكَ قَاتِلًا وَظَنَنْتُهُ	مِنْ فَرَطٍ نَحْوَتِهِ وَلِيٍّ قَتِيلِ
وَكَفَلْتُ لِي عَنْهُ بِكُلِّ كَرِيمَةٍ	ثُمَّ انْتَشَيْتُ وَأَلْتِ شَرُّ كَفِيلِ
وَأَبَيْتُ عَلَيْكَ خِلَافِي خَوْزِيَّةَ	تَأْبَى إِذَا مَا قَدَّتْهَا الْجَمِيلِ
هَلَّا سَأَلْتُ عَنْ الصَّنَاعَةِ أَهْلَهَا	فِيخْبُرُوكَ بِصَنَعَةِ التَّطْفِيلِ
الْقَوْمُ لَا يَعْشَوْنَ إِلَّا مِنْزَلًا	يَغْشَى الْعَيُونَ دُخَانَهُ مِنْ مِيلِ